المقولة القرآنيَّة في وحدة الأمّة وتجاوز الأخطار والمخاطر

رضوان السيد ■

أولاً ـ الأُمة الواحدة:

تَرِدُ المقولة القرآنية في الأُمة الواحدة في سورتي الأنبياء، والمؤمنون؛ أما في سورة الأنبياء، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]. وأما في سورة المؤمنون ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]. والمفهوم أنّ القرآن في هاتين الآيتين يتحدّث عن أوضاعٍ حاضـرةٍ في حقبة نزول القرآن، حقبة خاتم المرسَـلين صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه. وينبغي في هذا الســياق التنبُّه إلى عدة أمورٍ ومحترزات. أولُ هذه الأمور أنّ مفرد الأُمة في القرآن يردُ بعدة معانٍ، وهو النــوعُ أو العِلْمُ الذي صار علماء القرآن ومفسِّــروه منذ القرن الثاني الهجري يسمُّونه: علم الوجوه والنظائر، أو علم الأشباه والنظائر، حيث تتعدّد معاني مفرد الأُمة في المواطن المختلفة التي يتكرّر فيها اللفظ؛ من مثـل: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: 120]، ومن مثل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: 22]، ومن مثل: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ..﴾ [الأعراف: 168]. وثاني تلك

■ أستاذ الدراسات الإسلامية، ومستشار تحرير مجلة التفاهم.

الأُمور: أنّ القرآن يقرر أنّ الناس كانوا أمةً واحدةً فاختلفوا؛ إمّا لأنّ البشر تكاثروا، أو لأنهم انقسموا بحسب اتّباعهم لدعوات الأنبياء أو عدم اتّباعهم لها أو للأمرين معاً [سورة يونس: 19، والمائدة: 85]؛ ولذلك اقتضت مشيئة الله أن يرسل لكل أمةٍ رسولاً [سورة يونس: 47، وسورة فاطر: 24]. بينما جاءت دعوة خاتم النبيين وما تزال ـ من خلال الكتاب والسُّنَّة والأُمة ـ للناس كافة [سورة سبأ: 28]. **وثالث** تلك الأمور أنّ مصائر هذه الأُمة بحسب القرآن غير مصائر الأُمم السالفة التي بادت وانتهت، حتى إنّ حساب كلٍ منها يكون على حدة [الأنعام: 42، الجاثية: 28، فُصِّلت: 25].

إنّ الأُمة الواحدة والباقية ترد صفاتها وخصائصها في القرآن ضماناً وشهادةً لها على النحو التالي:

أ ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: 143].

ب ـ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].

وهكذا فإنّ هذه الأُمة تتميز بعدة خصائص: **أنها أمة خاتم النبيين المبعوث للعالم أجمع، وأنها باقيةٌ ومكلّفة** بمهمةٍ عالميةٍ هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يعني أنّ رسالتها نشر الخير العالمي، **وأنّ تأهُّلها لذلك سببه** أنها **الأُمة الوسط** بنعمة الله وفضله ولذلك فهي شاهدةٌ على العالم، **وأنها ينبغي أن تبقى واحدةً بخلاف الأمم السالفة**؛ لكي تستطيع أداء الرسالة والشهادة.

إنّ هذا الإيمان برسالة الأُمة والذي اتخذ طابعاً مسيانياً في العصر الإسلامي الأول، هو الذي دفع رجلاً في وزن الحسن البصري (- 110هـ) ووعيه للقول: لا نبي بعد نبيكم، ولا أمة بعد أُمتكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم! بَيْدَ أنّ هذا الرهان على الأُمة ورسالتها واجه دائماً تحدياتٍ مصيريةً سواء لجهة صلابة الوحدة العقدية والسياسية، أو لجهة الصراعات الدينية

والاستراتيجية عبر التاريخ، أو لجهة القدرة على صون المشروع، وتطوير مضامين وأساليب نشره وملاءمته.

ثانياً ـ تحديات مشروع الأُمة ومتطلباته:

واجه مشروعُ الأُمة التاريخي تحدياتٍ كبرى في عالم القرن السابع الميلادي؛ فقد غاب العربُ ـ الذين صاروا حَمَلة المشروع الخالد ـ غابوا عن التاريخ، وكادوا يغيبون عن الجغرافيا. إذ بعد الدول الكبرى والوسطى في جنوب الجزيرة ووسطها في القرون الميلادية الأول، انقسموا إلى بوادٍ وحواضر، ودويلات تابعة للروم أو الفرس. ولذلك، كما لم يكن هناك قبولٌ من المحيط للدين الجديد، كان الأكثر خطورةً في نظرهم الكيان العربي الجديد، والذي سرعان ما قضى على الدولة الساسانية، واشتبك مع الدول التركية في آسيا الوسطى وحتى تركستان، ومن الجهة الغربية أخرج البيزنطيين من ممتلكاتهم في الشام ومصر وشمال إفريقيا وصولاً إلى إسبانيا. وبالطبع ما انتهى الصراع بالاندفاعة العربية الأولى زمن الراشدين والأُمويين، بل ظلت الجبهة مع البيزنطيين قائمةً لأكثر من ألف عام. وخلال ذلك اضطر العرب ثم اضطرت الكيانات الإسلامية لمواجهة الغزوات الصليبية والمغولية والتتارية، وفي النهاية: الاستعمار الغربي. وقد أورث ذلك استنزافات هائلة ما انقضت آثارها بعد الظهور الصهيوني، وسياسات القوة التي تمارسها الدول الكبرى في نظام العالم الحديث.

إنّ هذا الإيمان برسالة الأُمة والذي اتخذ طابعاً مسيانياً في العصر الإسلامي الأول، هو الذي دفع رجلاً في وزن الحسن البصري ووعيه للقول: لا نبي بعد نبيكم، ولا أمة بعد أُمتكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم!

إنّ هذا التحدي ـ ورغم أنه كان هائلاً ولا يزال ـ يظلُّ تحدياً خارجياً. أما التحدي الأكبر والداخلي إلى حدٍ بعيد؛ فيتمثل في الاقتران الذي حصل بين المشروع التاريخي للأُمة، باعتبارها أمة التعارف والكلمة السواء والمعروف ـ ودولة الخلافة. إذ عنى ذلك الإصغاء الدائم لاحتياجات الدولة وطموحاتها

ومخاوفهـا واعتباراتها. ومن ذلك أيديولويجيا الغـزو والفتح، والإصرار على الوحدات الثلاث: وحدة الأُمـة، ووحدة الدار، ووحدة السـلطة. فمنذ القرن الثامـن الميلادي ـ أي بعـد حوالـى المائة عام علـى الفتح ـ اسـتقر لدى اللاهوتيين المسـيحيين واليهود والبوذيين والزردشتيين أنّ الإسلام دينُ قوةٍ وإرغام، ولا يقيم تمييزاً بين اعتناق الدين والخضوع لسلطة الدولة الإسلامية؛ فكأنه يقول بنشر الدين بالسيف. وهذا الأمر غير صحيح. فقد ظل أكثر سكان الشام ومصر وإسبانيا مسـيحيين إلى ما بعد زمن الحروب الصليبية؛ أي بعد خمسـة قرونٍ من الفتح الإسـلامي للشـام ومصر والتوغل في آسيا الوسطى والقوقاز وتركستان، وإلى الأندلس من الجهة الأُخرى. لكنّ الانطباع العميق غلّاب، وقد كرره البابا السـابق بنديكتوس السـادس عشـر في محاضرةٍ له بجامعة رغنسـبورغ الألمانية عام 2006. ولا شـك أنه كانت لذلك تداعيات ومفاعيل ليس على مصائر الدولة فقط؛ بل وعلى مصائر الدين أيضاً.

وما استطاع المسـلمون الاسـتمرار في تحقيق وحدة السلطة وأقلّ: وحدة الدار! فوحدة السلطة تحطّمت عندما قامت الدويلات شبه المستقلة بعد القرن الثالث الهجـري. أما وحدة الدار فقد تحولت إلى مسـألة أُخـرى، وما عاد معناها الحدود بالمعنى الحديث، بل دخلت في مسألة الشرعية عندما فرض الفقهاء والمتكلمون شـروطاً لاعتبار دار الإسـلام باقيةً علـى حالها؛ أي بيئةً للشرعية، يستطيع المسلم فيها أن يمارس عباداته ومعاملاته وعقوده وحياته العادية، أو بتعبير الفقهاء: أن يكونَ المسـلم وغير المسلم فيها آمِناً بالأمان الأول. وفي ذلك اقترابٌ من مفهـوم الدولة القومية اللاحق، لكنّ أصله ليس إثنياً بل هو ديني.

ما أمكن إذن من ضمن الوحدات الثلاث الاحتفاظ لا بوحدة السلطة، ولا بوحدة الدار، وما نجت من السقوط غير وحدة الأُمة، أو الأُمة الواحدة؛ لأنها غير مرتبطة بأرضٍ ولا بسـلطة، بل هناك المقولة القرآنية ذات الشعبتين: شعبة الدين الوسط، وشعبة الأُمة الوسط، هناك مصدر الدين أو ركنه الأول: الكتاب والسُّـنَّة. وهناك من جهةٍ ثانيـة: الأُمة المتلقيـة والعاملة بالكتاب

والسنة في التاريخ. ولذلك كان هذا التجاوُزُ من الناحية الدينية لإرغامات الدولة وضروراتها، والتي تحتاجها المجتمعات بشدة، لكنها ينبغي ألّا تحتجز الدين ولا يحتجزها، كما حصل أحياناً في التاريخ لدى سائر الأُمم على اختلاف أديانها.

ثالثاً ـ الأخطار والمخاطر والتجاوز:

لدينا إذن الدين الوسط الذي تعتقه الأُمة الوسط الواحدة. والمقولة القرآنية كما تؤسس لوحدة الأُمة، تتتبَّع أيضاً ما تتعرض له من أخطار ومخاطر، فتصف وتُدين وتؤيد وتُعالج وتتجاوز. أما **الأخطار** فاصطلحتُ على عدِّها تلك التي عدَّها القرآن الكريم نوازل أصلية إذا صحَّ التعبير، وعَرَض لها تحت عنواني: **الفتنة والفساد**. وأما **المخاطرُ** فهي النوازلُ المُفاجئةُ التي تهدد وحدة الأُمة، والناجمة عن الاختراقات والانشقاقات في ظروف تأزمٍ معينةٍ؛ لأنها تحصُلُ في هذا الزمان للمرة الأولى.

ما استطاع المسلمون الاستمرار في تحقيق وحدة السلطة وأقلّ: وحدة الدار! فوحدة السلطة تحطّمت عندما قامت الدويلات شبه المستقلة بعد القرن الثالث الهجري. أما وحدة الدار فقد تحولت إلى مسألة أُخرى، وما عاد معناها الحدود بالمعنى الحديث.

أ ـ أخطار الفساد:

الفساد بحسب القرآن الكريم حالةٌ من الفوضى والتخريب التي تنال من المجتمعات فتُهلك الحرث والنسْل. والفسادُ عدةُ أنواعٍ ينتمي أولُها إلى طبيعة الإنسان وأساسِ خَلْقِه: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30]. ثم إنه قد يكون شاملاً بحيث يتهدد مصير الكون ونظامه: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [المؤمنون: 71]. وبحكمة الله وقدرته يجري استعادةُ التوازن على الأرض من طريق دفع الفاسد بالصالح: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: 251]. ويبدأ الأمر باجتماع عصابةٍ على الفساد والإفساد بنشر السوء والتخريب:

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [البقرة: 27، والرعد: 25]. وهم قد يكونون قلةً ثم يتكاثرون: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: 48. وقارن بسورة الشعراء: 152]. وبنتيجة التكاثر وعدم وجود من يدعو إلى الإصلاح ويعمل به، تصبح حالة الفساد شاملةً بحيث ينطبقُ عليها قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [الروم: 41].

يُسمّي القرآن الكريم الفساد إذا صار شاملاً: الفساد في الأرض، ولشدة السوء والشر في حالة سواده، وتحوله إلى **حالةٍ شعبويةٍ** في اصطلاح الزمن الحاضر؛ فإنه ﷻ ـ وبسبب التدمير الذي تُحدثُهُ الظاهرة ـ يذكر لنا أن في ذلك حرباً لله ورسوله، ويأمر بإنزال أشدّ العقوبات برؤوس الفاعلين: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ .. ﴾ [المائدة: 33].

يظهر الفسادُ إذن بظهور مجموعةٍ صغيرةٍ تبتغي الشر، ثم تنتشر الظاهرة بالطغيان في البلاد أو الاستهواء بحيث يكثر الأتباع: ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ [الفجر: 11، 12]. وهناك سُنّةٌ عامةٌ لاستيعاب الأزمات والصراعات في دفع الناس بعضهم ببعض، أو أنه في مواجهة عصابات الفساد وشعبويّاتها، يظهر المُصْلحون من دُعاة الخير والصلاح والإصلاح. وفي الأُمم السالفة فإنّ شعبويّات الفساد في الأرض كانت تأتي في مواجهتها دعواتُ الأنبياء ورسالاتهم: ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: 83]

بَيْدَ أنه في زمان خاتم الأنبياء وما بعد؛ فإنّ «القرى» يظهر فيها الفساد بطرائق وأساليب محدَّدة، وتكون هناك مسؤولياتٌ محددةٌ على المجتمعات لاستعادة الزمام من طريق مكافحة هذه الظواهر:

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا ﴾ [الأنعام: 123].
- ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: 16].

- ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112].

إنّ الفساد الحادث كما تعرضه الآيات الثلاث إنما هو ظاهرٌ في القرى؛ أي في التجمعات الحضَرية أو المُدُن؛ لأنه في المدن التي تقود المجتمعات يمكن للشعبويّات أن تظهر بقيادة المترفين وهم أكابر المجرمين، بحيث تصبح ظاهرةً تصعب مقاومتُها. ففي آية سورة الأنعام المفسدون أكابر المجرمين، لكنهم لا يجاهرون، بل يمكرون؛ أي أنهم يسعون لكسْب الأنصار من العامة الذين يغترون بمظهرهم في الحرص على الصلاح والإصلاح ورعاية الحقوق ونُصرة المظلومين. وتتحدث آية سورة الإسراء كيف يتحول هؤلاء إلى ظاهرة: أَمرنا مترفيها، أي كثّرناهم بحيث يعظُمُ شأنُهم، وينتشر نفوذهم فيكثُرُ أتباعُهُم ومتابعوهم. وتأتي الآية الثالثة في سورة النحل لتوضح الآثار التي تظهر بسبب الفساد. فالقرية الآمنة المطمئنة التي يأتيها رزقُها رَغَداً من كل مكانٍ، عندما تكفر بنعم الله - من خلال أعمال المترفين والمجرمين - يستولي عليها الجوع والخوف، أي عكس ما ذكره الله سبحانه في سورة قريش: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: 4] لأنّ الله سبحانه وفّقهم إلى الإيلاف أو الائتلاف؛ أي إنهم - بالتوحُّد على طريق الأُلفة والمودة - أَمِنوا من الجوع والخوف. أما في آية سورة النحل فإنّ الجماعة تشرذمت بسبب الفساد، الذي أحدثته شعبويّاتها في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية. والسبيل للخروج من هذه الحالة وعودة الانتظام للحياة العادية يكون بانتهاج نهج الصلاح والإصلاح: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: 117].

في آية سورة الأنعام المفسدون أكابر المجرمين، لكنهم لا يجاهرون، بل يمكرون؛ أي أنهم يسعون لكسْب الأنصار من العامة الذين يغترون بمظهرهم في الحرص على الصلاح والإصلاح ورعاية الحقوق ونُصرة المظلومين.

إنّ **مسألة الفساد** الاجتماعي والأخلاقي والسياسي هي من أهمّ ما يتهدد وحدة الأُمة والمجتمع من أخطار؛ وذلك لأنّ الاختلال الحاصل بسبب الاضطراب الذي يُحدثه المجرمون وشعبويّاتُهم يثير السخط لدى الفئات الاجتماعية الأُخرى بعلة الظلم والتظلم، فتحدث التداعيات البالغة الخطر على المجتمع وجوداً ووحدةً. وقد كان الأمر لدى الأُمم السالفة أن يبعث اللّه إليها الأنبياء للإصلاح والإنقاذ، أو تهلك الأُمم تحت وطأة المعصية للرسالة، ووطأة الفساد. أما بعد الرسالة المحمدية؛ فإنّ الفساد يظل وارداً، لكنّ قانون الدفع من جهة: (دفع الناس بعضهم ببعض)، والتصدي للمفسدين بالإصلاح من جهةٍ ثانية - يُعطي دائماً أملاً بأن تنكفّ جهاتُ الفساد وعوامُلُه وقواه. واللّه سبحانه يقول: إنّ القرى لا تهلك بالظلم، ما دام أهلها مصلحين. كما يذكر القرآن إيلاف قريش، الذين وفّقهم اللّه ﷻ إليه رغم أنهم ما كانوا مؤمنين. ولنذكر في هذا المجال مَثَلَ الحارث بن عبد المطلب، عمّ النبي صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه، الذي كافح الفساد والظلم النازل بالغرباء والفقراء القادمين إلى مكة للتجارة وزيارة البيت الحرام، وقد أدّى ذلك إلى عقد «حلف الفضول» الذي حضره النبي صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه في شبابه، وأقرّه واستحسنه بعد الدعوة. فالفساد شأنٌ فظيعٌ ومفرِّق، لكنّ أهل المبادرة والخير يستطيعون التصدي له ومقاومته، ليحدث الدفع أو التوازن من جهة، والإصلاح من الجهة الثانية.

ب - خطر الفتنة:

يرد مفرد الفتنة بالصيغ الفعلية والاسمية حوالى ستين مرةً في القرآن، وبالطبع - وكما سبق القول في مسألة الوجوه والنظائر - فإنه يعني معاني مختلفةً في السياقات المختلفة. والمفرد يعني في الأصل الاختبار للمعادن الثمينة بالنار من حيث الأصالة والجودة. لكنه يُستخدمُ في القرآن دائماً بالمعنى المجازي؛ فاللّه سبحانه يمكن أن يختبر الإنسان سواء أكان مؤمناً أم غير مؤمن. بَيْدَ أنّ الأكثر أن تأتي الفتنة من النفس الأمّارة أو من الشيطان. المقصود من الفتنة هنا الاستهواء لجهة فقد الإيمان أو فقد

الصلاح أو فقد الاتجاه. وهذه أمورٌ يمكن أن تحدث لكل أحدٍ بشكلٍ مؤقتٍ أو دائم. بَيْدَ أنّ الأمر عندما يصل إلى المجموعة أو الجماعة فهو يتخذ معنى ومسالك **المؤامرة**. وهذا هو المعنى الذي يعدُّه القرآن الكريم خطراً خطيراً على الأُمة ووحدتها الدينية. ولذلك يعدُّ القرآن في آيتين الفتنة أشدّ من القتل، أو أكبر من القتل [سورة البقرة: 191، وسورة البقرة: 217] لأنها تُفسد فئاتٍ كبيرة مع أنّ أصلها دائماً واحد. ولننظر في ظواهر الفتنة ومظاهرها، ثم نعود للاستنتاج:

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: 7].

- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: 39 ـ وقارن بسورة البقرة: 93].

- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ... ﴾ [البقرة: 217. وقارن بالبقرة: 191].

- ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: 47].

- ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا ﴾ [الأحزاب: 14].

- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: 25].

إنّ مسألة الفساد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي هي من أهمّ ما يتهدد وحدة الأمة والمجتمع من أخطار؛ وذلك لأنّ الاختلال الحاصل بسبب الاضطراب الذي يُحدثه المجرمون وشعبويّاتُهم يثير السخط لدى الفئات الاجتماعية الأُخرى بعلة الظلم والتظلم.

في الآيات الست التي اخترناها بصعوبة لتكون ماهية الفتنة ومقاصدها واضحة بقدر الإمكان: تبرز في الآية الأولى: مسألة المحكم والمتشابه، وهي مسألةٌ تهمُّ في الأصل الراسخين في العلم، الذين يستطيعون التصدي في جهدٍ بين التفسير والتأويل لموافقة مُراد اللّه ﷻ ومقاصده. لكنّ أهل الفتنة ـ وقد

قلنا: إنها تعني ضمن ما تعنيه: المؤامرة أو الائتمار ـ أرادوا استخدام مسألة المتشابه لإحداث انشقاقٍ ديني. وهو الأمر الذي حدث عبر التاريخ لاصطناع خروج علــى ما تعارف عليــه الناس في الديــن والأخلاق. وصانــع الفتنة أو المنافق إمّا أن يستخدم التشدد أو الاعتدال والتوسط؛ في حالة إيثار التشدد يذهب مُريد الفتنة إلى وضع المتشابه في موضع المحكم؛ ليوهم بالانحراف عن ضروري الدين. وعندما يؤْثِر صانع الفتنة وضع المحكم في موقع المتشابه يتهم الذيــن يتبعون المحكم بأنهــم يهملون حظاً من الديــن. فمرةً يلعب مع التطرف ومرةً يلعب مع الاعتدال. وفي الحالتين المقصود بذلك ـ ومن طريق الفتنة والاســتهواء ـ إحداث انشــقاق في الدين؛ ليتزعَّم فريقاً في وجه فريقٍ آخَر. وفي هذا الصدد فإنّ القرآن يحيل على الراسخين في العلم لمنع الفتنة، وحفظ وحدة الدين والمتدينين.

وفي الآية الثانية (وهي موضوع عــدد التفاهم الحالي) يخبرنا القرآن أنّ أهل الفتنة حاولوا ويحاولون إحداث فتنةٍ بين النبي ﷺ والمســلمين أو فريقٍ منهم من طريق تقليــب الأمور أو تصويرها على غيــر حقيقتها، وعندما يصل الأمر إلى الفتنة والفوضى يجيء الحقّ أو يتضــح، ويُظْهرُ الله أمره، فينقمع أهل الفتنة ويُهمَّشون وهم كارهون.

وهكذا فإنّ الآية الأولى تضرب مثلاً لمحاولة المنافقين التلاعب بالقرآن، والله حافظٌ كتابــه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجــر: 9]. وهو عهد بشرف صونه إلى أمة الرسالة والتبليغ من خلال الراسخين في العلم فيها. أما في الآية الثانية فإنّ أهل الفتنة إنما يريدون التآمر على النبي ﷺ لفصله عن المسلمين، أو إحداث غربةٍ بينه وبينهم. وذلك من خلال قلب الحقائق، وإظهار أنهم الأحرص على الرســول ﷺ تــارةً، وعلــى المؤمنين تــارةً أُخرى. وفي الحالتين فإنّ مؤامراتهم تنكشف بظهور الحقّ، واستعادة الوحدة والتضامُن.

وفي الآية الثالثة توشك الأمور أن تبلغ درجة الفتنة لتفرقة الكلمة، بحيث يأمر الله المســلمين بالمنع من ذلك بالقوة، لتنقمع الفتنة، ويظلَّ الدين كله لله. ما معنى هــذا؟ معناه أنّ أهــل الفتنة يمكن أن يســتغلوا حالة الســلام

والطمأنينة التي يمتّع بها المسلمون؛ لإحلال هذا القلق والاضطراب محلَّ الألفة بحجج وأعذارٍ واهية.

وتبقى الآيات الأخيرة المختارة. اثنتان منها معنيتان بالتثبيت في الوعي أنّ **الإخراج من الديار** هو فتنةٌ كبرى، وتستحق القتال والدفاع عن الأرض والإنسان. والمقصود هو إرغام القُرَشيين للرسول ﷺ والمسلمين على مغادرة الأهل والديار، وترك مكة إلى المدينة. وقد ذكر القرآن الكريم في موضعٍ آخر مسألة الإخراج من الديار بوصفها إلى جانب الاضطهاد الديني والكراهية الدينية السببين الوحيدين للحرب: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: 8]. فالمسلم مأمورٌ بالتعامل بالبر والقسط مع كل الناس، إلّا في حالتي الإكراه الديني والإكراه الوطني.

لقد ذكر القرآن الكريم في مسألة الإخراج من الديار بوصفها إلى جانب الاضطهاد الديني والكراهية الدينية السببين الوحيدين للحرب. فالمسلم مأمورٌ بالتعامل بالبر والقسط مع كل الناس، إلّا في حالتي الإكراه الديني والإكراه الوطني.

وهناك الآيات في سورة التوبة: 93 ـ 97 والتي تتهم صراحةً صانعي الفتنة بالنفاق، وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر؛ إذ هم يرتكبون ثلاث موبقات: التهرّب من القتال، وتحريض الآخرين على ذلك بنشر الشائعات والدفع إلى التذمر. والجريمة الثالثة التي يشتركون فيها مع بعض المسلمين: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: 47]. والإيضاع: التمركز، إذ لهم بقية نفوذٍ وتأثيرٍ من العهد السابق على الإسلام. وبهذا الإيضاع واستناداً إليه حاولوا من قبل مبتغين الفتنة: ﴿ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ [التوبة: 48]، بمعنى أنهم لم يكتفوا بإيهام زملائهم من المسلمين، بل حاولوا أيضاً قلب الحقائق أمام النبي صلواتُ الله وسلامُهُ عليه نفسه. وهو أمرٌ نبهنا إليه من قبل، ولكننا هنا وضعناه في سياقه، وهو أنّ «التآمر الفتنوي» يصل أحياناً إلى أخطر الدرجات، وهو الإقدام على ذلك أثناء الحرب. ولأنّ الحروب بعد فتح مكة، ووجود هذه الفئة تصبح خطيرةً على

وحدة المسلمين، وليس على حملةٍ معيّنةٍ من حملات الحرب الدائرة مع الأعراب ومع الروم في الوقت نفسه.

ولنتنبه إلى أنّ هؤلاء المتآمرين أو أهل الفتنة لا يتمنّون فقط ولا يعملون سراً على أن ينهزم المسلمون، حتى لو كانوا هم في صفوفهم؛ لشدة كراهيتهم لهم وللرسالة؛ وبذلك فهم متربّصون ينتظرون مصيبةً أن تنزل ليروا كيف يمكن استغلالها، بل بالإضافة لذلك هم مستعدون للإسهام في الإنفاق على الحرب ـ طوعاً أو كرهاً [التوبة: 53] ـ رجاء الإسهام في الإخفاق من جهة، وللتغلغل أكثر داخل صفوف المسلمين من أجل زعزعتها وتصديعها.

فأهل الفتنة إذن قد يصلون إلى حدود الكفر أو يتجاوزونها: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: 54].

وننتهي من هذا التشخيص للفتنة ودرجاتها أو مستوياتها إلى وسائل مكافحتها. وفي الآيات المختارة الآية التي تقول: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 25]. وهناك ثلاث وسائل أو سُبُل يذكرها القرآن الكريم لمكافحة الفتنة الناجمة عن الاستهواء الجماعي.

أولى تلك الوسائل هي عدم التشكيك أو السماح للنفس أو الآخرين بالتشكيك بالقيادة، وهي في هذه الحالة قيادة الرسول صلوات الله وسلامُهُ عليه: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 61]. ويتعلق الأمر هناك بالخلق والمسلك والسيرة. فالقائد يستقبل كل أحدٍ، ويُصغي لجميع الناس، ولطلبات المحتاجين والضعفاء، ويغضّ النظر عن بعض ما يعرفه، ولا يُظهرُ إنكاراً أو استعداءً، ويدَع كثيراً من الناس لضمائرهم ووعيهم وأخلاقهم، ولماذا كله؟ لأنه عليه الصلاةُ والسلام أُذُن «خير»، ولأنه «يؤمن بالله» و«يؤمن للمؤمنين» وهذا يعني أنّ التساهل

والتسامح ـ وهم فضيلتان أخلاقيتان تُعنيان بحسن التعامُل مع الناس حتى لو لم يكونوا على ما يُرام ـ فيهما خيرٌ كبيرٌ؛ لأنهما تعنيان سلاسةً في نشر السلم والمودة بين الناس، ولأنهما تعنيان أنه عليه الصلاةُ والسلام يثقُ بالله، ويثق بالمؤمنين. الثقـةُ بالله تضـع القائد في موضـوع القوة والأمـن. أما الثقة بالمؤمنين، والثقة من المؤمنين؛ فإنهما تضعان القيادة في موضع يسـتعصي على الفتن والمكائد والمؤامرات، بسـبب الأمن المتبـادَل، والثقةً المتبادلة. فالثقة بين القيادة والناس أو المؤمنين هي الوسـيلةُ الأولى لمكافحة الفتَن المؤثرة على وحدة الأُمة وإفشالها.

الثقةُ بالله تضع القائد في موضوع القوة والأمن. أما الثقة بالمؤمنين، والثقة من المؤمنين؛ فإنهما تضعان القيادة في موضع يستعصي على الفتن والمكائد والمؤامرات، بسبب الأمن المتبادَل، والثقة المتبادلة.

أما الوسيلة الثانية لمكافحة عناصر التفرقة فتتمثل بأخذ العِبَر والدروس ممـا كان المؤمنون عليـه فـي الماضـي، ومـا صـاروا عليـه الآن: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ... ﴾ [آل عمران: 103]. فلا ينبغي الإصغاء إلى ناشري الفتنة والساعين في التفرقة فيها. والقرآن يذكر أولئك «السمّاعين» الضعفاء، الذيـن يتملكـم حـب الراحـة، والتهـرب مـن المسـؤولية، فيُصغون لدعوات الفتنة (وهي تعني هنا التخلف عن القتال) أو ما هو أكبر: التشكك في القيادة.

الوسيلة الثالثة هي المبادرة: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 25]. فالفتنة كالحريق الذي يمتد فيـأكل الأخضـر واليابس. هي اسـتهواءٌ وضعـفٌ لدى الأفـراد، وميلٌ للاستخذاء والاستثارة يمكن أن يجرف الجماعات. لكنه قد يكون فقط إيثاراً للسلامة واللواذ بـ ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: 105]. بَيْدَ أنّ القرآن يوضح هنا أنّ تلك حالة، وهذه حالة. أو أنها وضعٌ للمعايير بين الأقوياء الذين يسـتطيعون تحمُّل المسـؤولية، والضعفاء الذين يخافون من

ذلك، ولا يتمكنون من التقدم باتجاه صَون الوحدة الاجتماعية، والتضامُن في الملمّات. إنّ الفتنة لا تنالُ في آثارها الضعفاء والسمّاعين والمتحمسين لها فحسب؛ بل تنالُ أيضاً أولئك الذين لا يبادرون، ولا تكون عندهم همةُ المكافحة والتصدي. والآية تنتهي بـ ﴿ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾. هو شديد العقاب للقائمين على الفتنة، وشديد العقاب على غير المستضعَفين، من القادرين الذين لا يبادرون إلى الإنكار والاستنكار ومكافحة الشرور والضغائن التي قد تصبح شاملة.

رابعاً: خاتمةٌ في الأُمة الواحدة والفتنة والفساد:

هناك أخطارٌ ومخاطر تتهدد أمة البلاغ بعامة، وفي الأقطار المختلفة، ولظروفٍ خارجيةٍ أو مختلطة بين الداخل والخارج. بَيْدَ أنّ القرآن الكريم يتحدث عن داءين فتّاكين داخليين يتهددان تضامُن الناس ووحدتهم وسيرهم في رسالتهم، وهما: الفتنة والفساد. وبحسب تصوير القرآن فإنهما مَرَضان مختلفان: **الأول وهو** الفساد يتعلق بسيطرة فئاتٍ على الأمور في «القرى» (= المدن)، وصنع «شعبويّات» تنشر **الفساد** والإفساد. والقرآن يسمي قادة هذه التوجهات: المترفين! الذين يدّعون الإصلاح وهم مُفْسدون. والشر الناجم عن ذلك قد يكون كبيراً، ولا يقتصر على مجتمعٍ دون آخر، وفي هذه الحالة يسميه القرآن الكريم: الفساد في الأرض، والمفسدين في الأرض. وقد كان هذا النوع من الفساد لدى الأُمم السالفة يؤدي إلى الهلاك أو الإهلاك، وما عاد الأمر كذلك بعد رسالة خاتم النبيين؛ إذ يمكن للناس أن يقوموا بالإصلاح، ويكافحوا الفساد، فلا ينبغي من أجل البقاء والتمكين أن تُترك الأمور للمُترفين والفاسدين على مدياتٍ متطاولة؛ لأنها قد تهدد ليس فقط نظام الأُمة، بل ونظام العالم: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: 41]. وهي حالةٌ طارئةٌ، لكنها قد تصبح شاملةً، وتعمُّ المجتمعات الإسلامية، كما تعمُّ غيرها. ولأنّ أمتنا أمة الخير التي أخرجت للناس، فينبغي أن نتشارك مع العالم، مع الناس، في مكافحة المنكر ونشر المعروف. وبذلك فإنّ الرسالة مزدوجة: **الإصلاح الذاتي** الذي يتيح حياةً سليمةً ورشيدةً

لمجتمعاتنا وأمتنا. **والمشاركة بقوة** في الإصلاح الشامل على مستوى العالم. فالخير العالمي في السلام والعدالة والتسامح والتفاهم يعود علينا بفوائده، كما يعود على العالم وأكثر. لقد صار المصطلح العالمي للإصلاح هو: الحكم الصالح، والحكم الرشيد. وهو الأمر الذي يدعونا إليه القرآن، وينبغي أن نبادر إليه.

أما الفتنة فإنّ القرآن يصوِّرها بوصفها داءً أدهى من الفساد. وهي كذلك، لأنها تنبع من دواخل الأفراد، وتتسع لتصبح داءً في المجتمع الذي لا يثق بنفسه وبقياداته. ومع أنها تعني ما تعنيه **المحنة** من حيث إنها قد تكون نتيجة قلقٍ ووساوس داخلية أو نفسية في ظروفٍ معينة ـ وهو الجانب الذي ركّز عليه المفسرون للقرآن، وربطوه بمسائل الإيمان ـ؛ فإنّ بعض الآيات القرآنية، واستعمالات المفرد في الحياة التاريخية للمسلمين جعلتها تعني ما تعنيه **المؤامرة** التي تصغُرُ أو تكبر أو يكون لها مثيرون خارجيون؛ لكنها في الأصل استهواءٌ داخل الأنفس والصفوف، قد يتخذ أبعاداً تخريبيةً هائلة. وفي كل الأحوال؛ فإنّ القرآن يعظ الأفراد ألّا تستبدَّ بهم هواجسُ القلق والاضطراب، وأنّ أول عناصر تجنب **الفتنة** يكمن في الثقة بالله وبالنفس وبالقيادة، وبالقدرة على توقّي الشر، وبالمبادرة لدى القادرين على تحمل المسؤولية في جمع الصفوف، وعدم التسلط على الناس. وفي الوقت نفسه عدم اعتزالهم في خضمّ النضال بحجة أنه لا يمكن فعل شيء؛ فالقرآن ينذر صُنّاع الفتن، كما ينذر الساكتين عليها بأشدّ العقاب.

هناك أخطارٌ ومخاطر تتهدد أمة البلاغ بعامة، وفي الأقطار المختلفة، ولظروفٍ خارجيةٍ أو مختلطة بين الداخل والخارج. بَيْدَ أنّ القرآن الكريم يتحدث عن داءين فتّاكين داخليين يتهددان تضامُن الناس ووحدتهم وسيرهم في رسالتهم، وهما: الفتنة والفساد.

المقولة القرآنية في الأُمة الواحدة، والأخطار التي تتهددها، تحيلنا إذن على خطرين داخليين اثنين مختلفين: الفساد، والفتنة. ولكلٍ منهما أصلٌ ومتفرعاتٌ أو تداعيات. ويمكن تشبيه أوصاف الفساد في القرآن بأوصاف

الفساد في العالم المعاصر. والقرآن يدعو في مكافحة الفساد إلى الإصلاح بالذات، كما أنّ القرآن يدعونا إلى التشارك مع العالم في مكافحة الفساد الذي لا يؤذينا وحدنا، بل يؤذي العالم أيضاً. أما الفتنة فإنها داءٌ داخليٌّ. وقد يُسهم في إثارتها آخرون ممن يريدون تهديد وحدة الأُمة أو ضرب قدرتها على نشر رسالة البلاغ والخير؛ لكنها تبقى داخليةً في أصولها وتردداتها، وتتخذ صبغة المؤامرة التي تُظهر حرصاً على السلم والسلامة، وصون الأمة والمجتمعات والدول من التدخلات؛ لكنّ مثيريها يركّزون في الواقع على الإضعاف والشرذمة، بحيث يستطيع الآخرون والأقوياء والموحَّدون التدخل وضرب التماسُك والتضامُن، ونشر التشكك في القيادة والقدرات، وإظهار القدرة على القيام بذلك بأنفُسهم دون المجتمعات وقياداتها.

ونختم بحالةٍ واحدةٍ يجمع فيها القرآن بين **الفتنة والفساد**، مما يهدد الوحدة والرسالة بالفعل. ففي سورة الأنفال: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 71 ـ 73]. وهكذا يبدو أن الداءين: الفساد والفتنة أو الفتنة والفساد لا يجتمعان على تهديد التضامن والوحدة إلّا إذا اختلف **الولاء** بداخل الأمة، فوالت الفئات المختلفة أطرافاً متصارعةً من خارج. وإذا حصل ذلك يكون قد اجتمع على الأُمة مَرَضَا الفتنة والفساد. وهو الداء العُضالُ الذي يحذرنا القرآن منه؛ لأنه شديد الخطورة والخطر على سلامة الأُمة وسلام مجتمعاتها.